

الجزء العاشر من الرابعة عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ و ٩ جمادي الاولى سنة ١٣٢٤

اشهر الحوادث واعظم الرجال

حميد بن محمد المرجبي

فاتح الكونغو

لم يتعود قراء هذا الزمان الاطلاع على اخبار الهمم العالية والنفوس الكبيرة وظهور نوابغ القواد ورجال الدهاء الا بين اهل الغرب . و يعجبهم على الخصوص اذا قرأوا عن قائد او وزير او ملك نبغ من بين العامة وتسنم عرش السيادة بجده وسعيه . ولكن بين اهل الشرق اليوم نوابغ لا تقل نفوسهم كبرًا ولا هممهم سموًا عن أولئك فقد ينبغون في اواسط اسيا وافريقيا و يأتون بمعجزات السياسة والدهاء والقيادة ولا نعرف اخبارهم . واليك ترجمة رجل منهم ولد في الفقر والضنك وارتقى بهمته وسعيه حتى قاد الالوف وفتح البلاد — نعني به حميد ابن محمد بن جمعة المرجبي الملقب بتيبو تيب فاتح الكونغو باواسط افريقيا وقد بعث الينا برسمه وترجمة حاله حضرة الشيخ ناصر بن سليمان بن ناصر اللمكي ساكن زنجبار فاثبتناهما مع الثناء على غيرته في نشر مآثر الشرقيين قال :

تمهيد

كانت الاقطار الزنجبارية ملكاً للبرتغال كما لا يخفى على ذوي الالمام بالتاريخ فلما اراد العرب تخليص هذه الاقطار من يد الافرنج بقوة سلطانهم سيف بن سلطان اليعربي جهزوا جيشاً من بلاد عمان مؤلفاً من قبائل شتى من العرب وفيهم القبائل المراجبة . فبرح هذا الجيش مسقط في سفن شراعية فوصل الى ممبسة سنة ١٦٦٥ مسيحية وهناك جرت بينهم وبين البرتغال وقائع كثيرة قضى الله بعدها بانجلاء البرتغال من تلك الاقطار واستلم العرب ازمة الملك . ولما رجع السلطان الى مسقط أحب بعض اصحابه الاقامة في تلك الاقطار فاقاموا وفيهم عائلات من قبائل الحواتم والنباهنة واليعاربة والمراجبة واتخذ كل فريق منهم المناخ الموافق له ولا تزال هذه القبائل باقية هناك الى الآن . ولكن رجالها لا يتكلمون الا اللغة الزنجبارية وانما حفظوا اسم القبيلة فقط . فالمراجبة اختاروا قرية بجنوب دار السلام اسمها مبوماجي مناخاً لهم ولا يزالون فيها الى اليوم

ثم آل امر تلك الاقطار مع توالي الزمن الى الانحطاط حتى جاءها سعيد ابن سلطان الازدي جد العائلة المالكة الآن في زنجبار وعمان فاخذت في التقدم وفتحت أبواب التجارة وجعلت عاصمة المملكة جزيرة زنجبار ثم رحل اليها العرب من عمان كما رحل اليها قبائل البراري والافرنج

ترجمة حاله

في هذه الجزيرة ولد صاحب الترجمة وهو حميد بن محمد بن جمعة المرجبي في سنة ١٢٤٨ هجرية وقد نشأ في عصر مظلم وبلاد مظلمة . ولم ير بين يديه الا اقواماً لباسهم الجهل وطعامهم الفقر خالين من كل فضيلة مترديين بكل رذيلة لا يميزون بين الخير والشر . ولما بلغ السنة الخامسة من العمر اجتهد والده بتعليمه القراءة والكتابة وكتاب الله فأخذ منه بالقسط الاوفر في اقرب وقت ثم مكث في حالة الفقر عدة سنوات كأنه على النار اذ كان يشعر في نفسه بشيء يستحثه على طلب العلى وهو لا يدري بأية وسيلة يسمو اليها واتفق أن والده سافر الى داخل البلاد لطلب الرزق وترك ولده في زنجبار فالولد لم يقر له قرار لانه رأى في نفسه ضيقاً شديداً لم يعلم له سبباً — ذلك هو دأب عظماء الرجال يحسون بالكبرياء والعظمة وهم في المهد . فاذا أتيحت لاحدهم الوسائط لقضاء مراده وجد لذلك طريقاً يسهل عليه الامر او استعمل الحيلة والمال لبلوغ اربه ولكن المترجم لم يجد لنيل بغيته طريقاً مع مطالبة نفسه بها وظل كذلك حتى تطرق الى قلبه اليأس فاخذ في طلب

ما يسد رمقه به

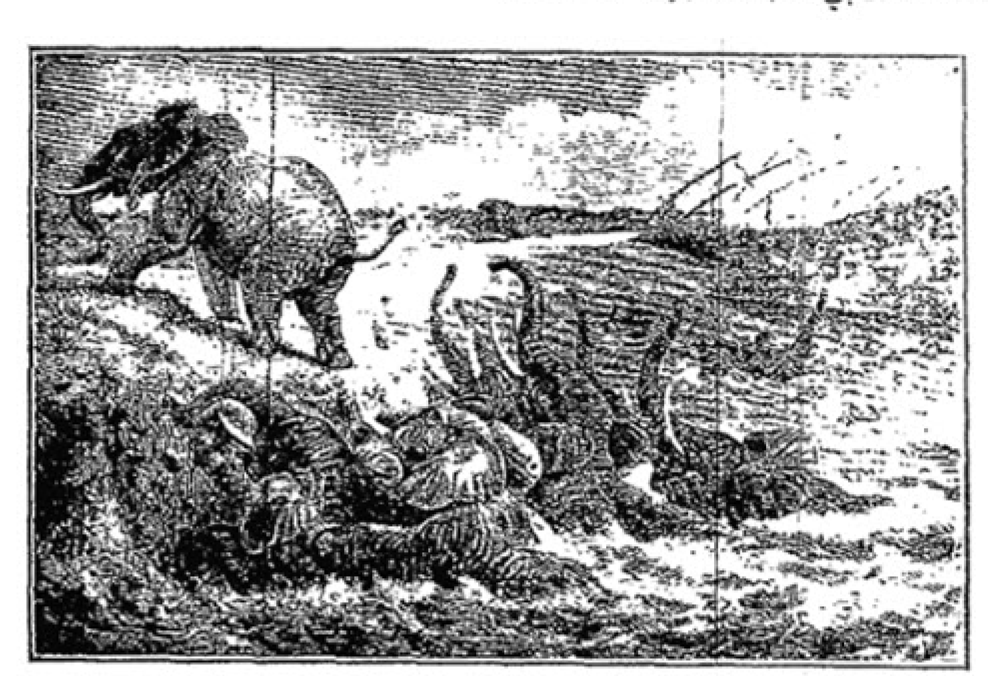
ولما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة اقترض اثني عشر ريالاً اشترى بها ملحاً سافر به الى دار السلام ومنها الى داخل البلاد للاتجار ولبث شهوراً يتردد في بيع الملح وقد ذاق حلاوة الجد والاجتهاد وكانت أسفاره لاتزيد عن مسير يومين أو ثلاثة ثم طال سفره شيئاً فشيئاً واطمأن اليه التجار باموالهم فاتجر في الثياب والمأكولات والكوتشوك وغيرها حتى اجتمع عنده شيء يسير من المال . ثم بلغهُ ان والده وصل الى مدينة تبوره وتزوَّج بابنة سلطان الانيموز (قبيلة من الزنوج لا يختتنون وهم كثيرو العدد) فشمر عن ساعد الجد وعزم على اللحاق به في تلك البلاد فسافر من باجمويو وبعد مسير ثمانين يوماً في البراري والقفار وصل الى مدينة تبوره فوجدها كبيرة وفيها من العرب نحو خمسمائة نفس وجملة سكانها اربعون ألفاً ثم واجه السلطان وهو صهر والده فلقي منه اكراماً واهدى اليه عاجاً وقربه منه فقوي نفوذه لديه وبقي هناك متاجراً

ثم حصل خلاف بين صهر والده وسلطان آخر من سلاطين الزنوج فتحاربا مدة وخرج حميد بن محمد لنجدة صهر والده ببعض الزنوج والمماليك فدخل بلاد العدو ليلاً واحرقها واستباحها قتلاً وسلباً وجمع الكثير من العاج واستتب امره في تلك البلاد حتى صارت ملكاً له وأطاع اهلها امره . ولما عاد الى والده منصوراً اخذ ما كان معه من العاج وقفل راجعاً الى زنجبار فحظي بمقابلة سلطانها يومئذ ماجد بن سعيد بن سلطان ثم باع ما معه من العاج ووفى ما عليه من الديون واخذ في تجهيز ما يحتاج اليهِ في سفره فلما تم ما اراد تجهيزه عمد الى السفر

نشأته السياسية

لقي حميد في هذه النشأة من المصاعب والمشاغب ما تشيب لهُ الولدان لانه كان يسافر الى مكان لم تطأهُ اقدام اسلافه ولكنهُ لم يتهيب من ذلك بل كان يسافر والسعد حليفه والعناية تساعده والاجتهاد نصيره على المصائب . برح زنجبار ومعه من الثياب والخرز والبارود والرصاص ما قيمته تسعون الف ريال حتى وصل باجمويو ثم برحها في سنة ١٢٧٩ هجرية وبعد مضي ١٥ يوماً من سفره قطع اللصوص الطريق عليه وارادوا نهب ما معهُ فدافعهم لكنهم اخذوا بعض اموالهِ فلم يرهبه ذلك وقد اصابت رجاله الشمس . فمكثوا ٥ ايام يشربون بول الدواب ثم اصابهم طاعون فمات منهم خمسمائة رجل ولم يجد من يحمل الخمسمائة حمل التي كانوا يحملونها فتركها ومضى الى حال سبيله وسار مجدًّا حتى وصل تبوره وقد انهكه

التعب ومعه نصف امواله فتاجر به سنتين ثم مضى الى البلاد التي كان قد اخذها قبلا فوجد سلطانها استنجد بسلطان آخر لحاربهما فانكسر شر انكسار وضل عن الطريق وتشتت اصحابه من الهزيمة فوصل تبوره مقهورًا مدحورًا ثم برحها الى اوجيجي فربح منها اموالاً طائلة وركب في بحيرة تنكنيكه هو واصحابه فوصل الى الجانب الثاني منها سنة ١٢٨٤ هجرية فمكث هناك نحو سنة ونصف سنة بين الزنوج وقد خاف أن يسافر الى الكونغو لقلة معداته فعاد الى الوجيجي ومنها الى تبوره سنة ١٢٨٦



الافيال في اواسط افريقيا

وبعد سنة وصلهم الخبر بوفاة سلطان زنجبار ماجد بن سعيد وتعيين اخيه برغش ابن سعيد مكانهُ فكتب حميد بن محمد لسلطان زنجبار كتاباً يهنئه بالملك ويطلب منه باروداً ثم سافر لمحاربة السلطان المغتصب للبلاد التي كان قد اخذها فوصل اليه فوجده متحصناً في مدينته فحاصره ستة اشهر ولم يقدر عليه فجمع اصحابه وحفروا قناة حولوا اليها النهر الذي يشرب اهل تلك المدينة منه فانقطع الماء عن المحصورين فأسلم السلطان نفسه بشرط ان يسلّم ماله لحميد بن محمد ويكون خاضعاً لامره فرضي السلطان وقويت شوكة حميد وهابهُ الاهالي فرجع والسلطان معه . وقبل وصوله الى تبوره جاءهُ احد اصحابه بكتاب من سلطان زنجبار برغش بن سعيد يخبره انه ارسل اليه الفي رطل من البارود فلما وصلتهُ عزم على السفر الى اوجيجي فاخذ امواله وارسل العاج الى تبوره ليبيعوه ويبتاعوا لهُ بثمنه

الثياب فنزل اوجيجي واقام فيها حتى وصلته البضائع فقطع بحيرة تنكنيكه في اواخر سنة ١٢٨٧ وسار قاطعاً البراري بين همجية الزنوج وانياب الضواري يتلقى الاهوال مرة بالعطايا وتارة بالسيف والنصر حليفه والشهرة تتقدمه فترتعد الملوك خوفاً منه فيصالح المطيعين ويحارب العاصين ولم يشغله هذا عن البيع والشراء من العاج والثياب . ثم اتجه جنوباً وعاد الى الشمال الغربي فوصل الى نهر الكونغو عند المدينة التي يسمونها (ستانلي فولس) ولبث فيها مدة يلتمس الراحة . ولما عزم على السفر في نهر الكونغو بلغه ان احد سلاطين الزنوج قطع عليه السبيل ليأخذ امواله فتركها في تلك المدينة وجهز جيشاً من رعاياه ومماليكه قدر ٣٠,٠٠٠ نفس وامرهم بالسير الى الشرق فالشمال ليأتوا العدوّ من ورائه وجهز جيشاً آخر وسيره على شاطيء الكونغو بحذاء قوارب وعددها ٤٠٠ قارب . فاستمر السير شهرين كان في خلالهما يبيع و يشتري وبعد هذه المدة التقى به العدو وكان شديداً عزيز الجانب والجيش الذي بعثهُ المترجم في البراري لم يصل بعد فانكسر حميد شر انكسار وغنم العدو القوارب واستولى على شيء كثير من ماله وبعد ١٤ يوماً من الهزيمة وفد الجيش فعاد به الى عدوّه وهجم عليه فتحارب الفريقان ثلاثة اشهر انجلت عن قتل السلطان واستيلاء حميد ابن محمد على املاكه . واقام هناك مدة رتب فيها جيشه على اربعة اقسام . قسم مؤلف من ٢٠,٠٠٠ نفس انفذهُ في الطريق الذي جاء منه ليصلوا الى ستانلي فولس و يخبروا اهله واصحابه بالنصر و يحفظوا الاموال التي له هناك و يذهبوا منها الى الشرق حتى يبلغوا وسط المنيما في مكان عينه لهم . وقسم مثل الاول عدةً وعدداً سيره من المكان الذي هو فيه الى الجنوب الشرقي ليدعوا الناس لطاعته ثم يتحولون الى المحل الذي عينه للقسم الاول وقسم مؤلف من ٢٠,٠٠٠ نفس امرهم بالبقاء في ذلك المكان وخرج بمن معه وهم ٦٠,٠٠٠ نفس لمحاربة قبائل نيام نيام

ومن ينظر في هذه السياسة يندهش لصدورها من رجل لم يتعلم فنون الحرب ولم يدخل مدرسة حربية وقد اتخذ نقطاً عسكرية لحفظ خطوط الرجعة . اما الجيش الذي كان يقوده بنفسه فوصل الى قبائل نيام نيام وحاربهم وانتصر عليهم واخذ اموالهم وسبى أولادهم ثم اتجه نحو الشرق فالجنوب فوصل الى النقطة التي عينها لاصحابه فوجدهم سبقوه ولم يلق في طريقه هذه المرة حرباً فاستتب الامن وامنت السبل قليلاً . وادركه العرب من اصحابه وانفتحت طرق التجارة الى باجمويو فكثرت مداخيل زنجبار

وقد يقول القاري‌ء كيف يمكن لحميد بن محمد ان يجيش مائة الف وكيف كان يطعمهم

ويكسوهم فنقول انه لا محل للدهشة لان الثوب الذي قيمته فرنك في زنجبار كان يباع هناك في ذلك الزمان بالف رطل من الارز · ثم ان الاهالي كانوا يحبون متابعته ليغنموا عند انكسار العدو · ولما استتب الامن عاد باموالة وبعض جوار به ومماليكه الى زنجبار تاركا ولاية الامر لاخوته وصحبه · وفي عودته هذه عبر بحيرة تكنيكه في السفن الشراعية · واتصل به في اوجيجي نعي والده محمد بن جمعه فبكى عليه وحزن لانه لم يجن شيئاً من ثمار أعمال ابنه ومرَّ على تبورة فوجد ارملة والده وصهره فأقام عندهما زمناً ريثما استراح من عناء السفر ثم واصل السير حتى دخل دار السلام وقبل وصوله اليها لقيه في الطريق اخوه من امه محمد بن مسعود الوردي وارسل سلطان زنجبار السيد برغش رجلاً يسلم عليه من قبله او يهنئه بما ناله من النعمة والشهرة وكتب اليه كتاباً هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من برغش بن سعيد

الى حضرة الشيخ الافخم المحب المحترم حميد بن محمد بن جمعه المرجبي سلمه الله تعالى وبعد السلام عليك اخبرني المحب ابن مسعود بانك واصل الينا قريباً فوجبت علينا التهنئة لك وارسلنا هذا الكتاب للسلام عليك والسلام »

الاخطار في اواسط افريقيا

وصل حميد بن محمد دار السلام ومعه ٧٠٠٠٠ رطل من العاج وغيره من انواع التجارة فسافر الى زنجبار بحرًا فوصلها في اوائل سنة ١٢٩٤ هجرية وباع ما كان معه من

العاج وغيره فاجتمع عنده مبلغ ۳۰,۰۰۰ جنيه صافية بلا ديون

ثم تجهز للسفر ثانية فاشترى بضائع كثيرة خرج بها من زنجبار سنة ١٢٩٦ الى باجوبو ومنها الى داخل البلاد يقتحم الاخطار والمفاوز · وبعد عشرة اشهر وصل الى البلاد التي اتخذها عاصمة له فوجد الامر على غير ما كان يعهده اذ شاهد التجارة كثيرة والارزاق واسعة والتجار من الافرنج والهنود والعرب عديدين · اما اهل البلاد فكانوا على ما تركهم من السذاجة والجهل وكان الامن متزعزعاً فتكبد مشاق جسيمة في محاربتهم ومضت ايامه في الحروب ولكنها لم تشغله عن التجارة بل كانت هي تجارته الرابحة لانه كان يكسب منها اموالاً طائلة غير العاج والعبيد والغنم وكان جميع ما يحصله يرسله الى زنجبار لوكيله ويطلب منه البضاعة الصالحة للزنوج

فلما توفر عنده المال والرقيق عاد الى زنجبار سنة ۱۳۰۰ ﻫ وباع ما جلبه من البضائع فيها واشتري ما اراده ثم برحها سنة ١٣٠٢ قاصداً الجهات الداخليـة ولسنا نذكر هنا جميع ما أصابه في طريقهِ من الحرب والجوع والعطش وما لقيه من اللصوص والوحوش وانما نقول انه وجد هناك عند وصوله هذه المرة رجلاً بلجيكيا قنصلاً لدولتهِ وكان الخطر محدقاً به لانه طلب من سيف بن حميد بن محمد ان يأتيهُ بجميع العاج الموجود هناك ليكتب عليه اسم الدولة البلجيكية فقبض عليه سيف وارسل به الى سردار الجيش راشد ابن محمد فحكم عليه بضرب خمسين جلدة وحبس سنتين ولولا وصول حميد بن محمد في تلك الايام لنال البلجيكي جزاء شديداً · وكان البلجيكيون قبل ذلك يهاجمون العرب مراراً فيصدهم هؤلاء ويقتلون منهم كثيرين · وربما يسأل القارىء عن الرجال الذين كانوا ينصرون البلجيك اذ كان جميع الزنوج رعايا العرب فالجواب ان العرب كانت لهم عادة يكرهها الزنوج وهي انهم كانوا يحملون اولاد الزنوج يبيعونهم في زنجبار · فلما دخل الافرنج تلك الديار خدعوا الزنوج وزخرفوا لهم القول بأنهم سيحررونهم ويعملون كيت وكيت من الخير وما زالوا بهم حتى استمالوهم واستعانوا بهم على محاربة العرب · ولم تخف على حميد بن محمد هذه الحيلة فكان دائماً يعرض عن محاربة الافرنج ويعدهم خيراً وكان يقول « دخلت هذه البلاد صغيراً فقيراً وملكت هذه الرقاب جميعها ولم يكن لدي مال ولا سلاح فهل أقوى بهم على الافرنج »

وكان يكلم اولاده دائماً بهذا المعنى ويحذرهم من غدر الزنوج · ولما باع تجارته هناك رجع الى زنجبار فوصلها سنة ١٣٠٤ هجرية فوجد الانكليز لهُ بالمرصاد وقد اخبره قنصل الانكليز بما تم عليه الاتفاق وان البلجيك سيدخلون الكونغو ونصحه بعدم معارضتهم وانهم

لا يريدون سوى التجارة وانه سيكون كسابق امره مطلق الحرية وتدفع دولة البلجيك له مقابل تجارتها ٦٥ جنيهاً شهرياً فأبى اولاً فقال له قنصل الانكليز ان انكلترا تعهدت بمساعدة البلجيك وانه اذا اصرّ على ابائه فاول شيء تفعله هو منعه عن السفر مرة أخرى

فلم يجد بدًّا من القبول وعندئذ قيل له ان اي شيء يطلبه من انكلترا يعطى له وتحقق امانيه فيه فطلب من القنصل تحميل عبيده من باجمويو الى زنجبار وكان الانكليز متشددين في منع بيع الرقيق وتحميله ولكنهم اذنوا له بذلك لحاجة كانت في نفوسهم فحمل حميد بن محمد سبعمائة عبد من باجمويو الى زنجبار ثم وصلت الاخبار من الكونغو ان البلجيك هجموا على العرب مرارًا فصدوا عنهم وان العرب اخرجوا جميع الافرنج من تلك البلاد فلم يبق بها بلجيكي ولا ألماني وكلما اراد البلجيك المسير اليهم التقوا بهم على ضفاف نهر الكونغو ورموهم بالرصاص فشق هذا الخبر على الانكليز وطلبوا من حميد بن محمد ان يعجل بالسفر الى الكونغو ومعه المعتمدان الانكليزي والبلجيكي فسافروا سنة ١٣٠٥ في باخرة عن طريق رأس الرجاء الصالح فوصلوا الى مدينة الكاب ومنها الى بناتا عند مصب نهر الكونغو ثم سارت الباخرة في النهر ٤ ساعات فوقفت بسبب الشلالات فركبو الفلك وساروا بها شهرين حتى وصلوا الى مدينة ستانلي فولس . ولما اطل العرب على هذه الفلك ورأوا فيها الافرنج رموهم برصاص البنادق فاشاروا اليهم انهم ليسوا محاربين فلم يقبلوا واخيرًا رمى حميد بن محمد نفسه في النهر فلما رأوه عرفوه وامسكوا عن اطلاق البنادق ونزل هو والافرنج الذين معه وبوّأ لهم مكانًا وامنهم وبواسطته تم الاتفاق بين العرب والافرنج . وفي غضون ذلك اتتهم الاخبار بوفاة برغش بن سعيد سلطان زنجبار وارتقاء خليفة بن سعيد سلطانًا مكانه فمكث حميد يتاجر بماله الى سنة ١٣٠٧ ثم عقد النية على الرجوع الى زنجبار فسافر وبعد مسير عشرة ايام اتاه الخبر بوفاة خليفة بن سعيد وولاية علي بن سعيد مكانه فواصل السير حتى بلغ تبوره وفيها اصيب بمرض فتأخر هناك وبعد شهرين وصل اليه ولداه سيف وثابت فوجداه مريضًا فكانا قاصدين الكونغو فامرهما بالسفر اليها ومكث هو في تبوره سنة حتى اذا عوفي من مرضه برحها الى زنجبار فبلغها سنة ١٣٠٩ وبعد ان صفا الجوّ للبلجيك هجموا على العرب مرارًا فصدوا عنهم وطلبوا منهم ان يسافروا جميعًا الى زنجبار فابوا ولما اعيت البلجيك الحيلة خدعوا الزنوج وزخرفوا لهم القول فانفضوا عن العرب وانحازوا الى البلجيك ثم هجموا على العرب فهزموهم وغنموا اموالهم وقتل سيف بن حميد وهرب ثابت اخوه ومحمد بن سعيد وغيره واستولى البلجيك على اموال حميد بن محمد ويقدرونها

بمائة الف جنيه وكان حميد بن محمد يتمثل دائماً بقول الشاعر :

ومن يفعل المعروف مع غير اهله　　يلاقي كما لاقى مجير ام عامر

حيث ذهبت امواله وقتل ولده جزاء احسانه الى البلجيك

وفي سنة ١٣١١ وصلت اخبار الهزيمة الى زنجبار ووصل ثابت واخوته وانفار من العرب اليها اما بقية اولاد محمد بن سعيد فاسرهم البلجيك و بقوا في اسرهم الى ١٣٢١ حيث اطلقوا سراحهم وسمحوا لهم بالعودة الى زنجبار فبلغوها في حال يرثى لها وهكذا انتهت دولة العرب في افريقيـة الوسطى وتقاص ظل ملكهم منها وكانت نهاية امرهم انهم عاشوا في زنجبار فقراء

اكل اجل كتاب

لما وصل حميد بن محمد الى زنجبار سنة ١٣٠٩ حسب ثروته فوجدها نيفاً ومائة الف جنيه الا ان وكيله الذي كان في زنجبار تحيل عليه وقدم واخر في دفاتره فاختلس من تلك الثروة نحو ٣٠,٠٠٠ جنيه و ٢٠,٠٠٠ جنيه كانت في يد هندي اعطيت اليه للتجارة فذهبت ولم يحصل الا على ٤٠٠٠ و ٧٠٠٠ جنيه اعطاها محمد بن خلفان الذي ادعى الشركة في في ملكه وحكمت له محكمة دار السلام بدفع هذا المبلغ ونحو ١٦,٠٠٠ جنيه دفعت الى المحامين عنه في دعاو به حينما اراد الدفاع عن نفسه في امر الشركة وغيرها من الدعاوي وكان دائماً يقول « ذهب ربع ملكي في افواه المحامين »

والذي بقي عنده اشترى به بيوتاً و بساتين فعاش من ريعها · وفي سنة ١٣١٠ توفي سلطان زنجبار علي بن سعيد وعين حمد بن ثويني مكانه فنال منه رتبة · وفي سنة ١٣١٤ توفي حمد بن ثويني وهبت ثورة في البلاد فاطلقت الانكليز القنابل على القصر السلطاني ثم عين حمود بن محمد بن سعيد سلطاناً وفي سنة ١٣٢٠ توفي السيد حمود بن حمد فخلفه ابنه علي ابن حمود وهو السلطان الحالي ادام الله ملكه · مضى هذا الزمان وحمد بن حميد بين الدعاوى والشكاوي وفي شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٢ اصابه مرض الاستسقاء ثم عوفي منه ولكن صحته بقيت ضعيفة فاشتدبه الألم حتى كانت الساعة الخامسة من ليلة الاربعاء عاشر ربيع الثاني (١٤ يونيو) قبضه الله اليه وما شاع هذا الخبر حتى توافدت الجموع الى منزله وفي مقدمتهم قنصل جنرال امريكا وفيس قنصلها وتتابعت الجموع وسار في جنازته اناس كثيرون وفي الصباح جاء قنصل جنرال الانكليز وقنصل الالمان وغيرهما من معتمدي

الدول وتجار الاجانب واعيان العرب والهنود والزنوج لتعزية اهله ونقل البرق خبر وفاته الى العالم المتمدن فأتت جرائده مملوءة بالكلام عن سيرته

الشعر المنثور

او الوزن والتقفية في الشعر العربي

حضرة صاحب الهلال

نشرتم في العدد الثاني من هلال هذه السنة مثالاً للشعر المنثور بقلم صديقي المتفنن امين افندي ريحاني اللبناني واردفتم ذلك بمقالة من الشعر الموزون غير المقفى في العدد الرابع بقلم الفاضل بولس افندي شحاده وكلاهما قد اجادا في ما أتيا به من الاسلوب الحديث الذي رأيتم العربية محتاجة اليه • ولي كلمة في هذا البحث جئت اعرضها الآن على القراء الكرام لعلها تروق في اعينهم فاقول :

لاخفاء ان الشعر لا يقوم بالوزن والتقفية وليس تحديد العرب اياه بهذين الا ذهاباً الى جهة اللفظ وبقي الغرض المهم من وراء ذلك وهو المعنى • فاننا كثيراً ما نجد نثراً توفرت فيه شروط الشعر من نباهة الاغراض ودقة المعاني ورقة الالفاظ ومتانة التركيب وحسن التخيل وصحة البيان فكان ابلغ من الشعر وأوقع منه في النفوس وهكذا الحال في الشعر الذي خلا من الاساليب المشار اليها فانه احط منزلة من النثر

ولقد أجاد الفيلسوف ارسطو الشهير بقوله « ان الشعر يبقى شعراً ولوكان بلاوزن » ولكن ابن خلدون رمى المشارقة بوصمة هذه الاساليب واستعمالها في المخاطبات السلطانية بقوله « وقد استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الاغراض وصار هذا المنثور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترق الا في الوزن » الى آخر كلامه في مقدمته

ولكننا نعلم من قديم الاساليب الشعرية في النثر العربي ما كان مثل دعاء النابغة للنعمان ابن المنذر ووصف حرملة للاسد ولا بأس من ايراد فقرة من كلامه قال :

« واقبل ابو الحارث من اجمته يتظالع في مشيته • كانه مجنون او في هجار • بصدره نحيط ولبلاعمه غطيط • ولطرفه وميض • ولارساغه نقيض • كأنما يخبط هشيما • او يطأ صريما • واذا هامة كالمجن • وخد كالمسن • وعينان سجراوان • كأنهما